تجدد معاني القرآن الكريم

□وأثره في حياة الأمة

إعداد

أبو بكر بن محمد فوزي

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .. أما بعد :

فإن كتاب الله عز وجل هو الحجة البالغة والمعجزة الخالدة أنزله الله على قوم تربعوا على عرش الفصاحة والبيان، لكنهم تردوا في مهاوي الشرك والطغيان، وسقطوا في حضيض الجاهلية؛ فعبدوا الأوثان وشربوا الخمر ووأدوا البنات، وساد الظلم فيهم وشاع الفساد وعمّت الفوضى.

وفي خضم هذه الظلمات أشرق فجر الإسلام وبزغ نور القرآن ، فانبهرت له الأبصار واستنارت بقبسه البصائر، وأقر ببلاغته البلغاء، وسلّم لفصاحته الأدباء.

نزل القرآن الكريم ليقيم الحجج ويدحض الشُّبهات، ويجلِّيَ الحقائق ويقرِّر المعاني، فانقشعت أمامه سحائب الشكِّ وتبددت ظلمات الكفر، وانكشفت حُجُب الضلال، وتجلى نور الإيمان.

ولله درُّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قال: (كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ – ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به

عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)[1]وإذا تأملت في وصف علي رضي الله عنه تجد أن في هذه الأوصاف جملة من خصائص هذا الكتاب العزيز، فهو كتاب محكم رصين يتسم بثراء المعاني وتجددها دون تناقض بينها، فضلا عن أسلوبه الممتع الذي لا يمل منه القارئ وعجائبه التي لا تنقضي.

وفي هذا البحث -بإذن الله- أسلط الضوء على مفهوم (تجدد المعاني) في القرآن ، وطرق التدبر التي تعين على ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: لمحة سريعة عن مفهوم التدبر :

المبحث الثاني: تجدد المعاني وعلاقته بتدبر القرآن .

المبحث الثالث: المراد بتجدد المعاني وعلاقته بارتقاء الأمة .

المبحث الرابع: تجدد المعاني منهج نبوي سار عليه السلف والأئمة .

المبحث الخامس: أهمية إعمال تجدد المعاني في تدبر القرآن .

المبحث السادس: طرق التدبر المعينة على تجدد المعاني .

المبحث السابع: الخاتمة (مقترحات وتوصيات) .

(١) ورد هذا الأثر مرفوعا والصحيح وقفه كما قال ابن كثير: (قصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح) فضائل القرآن (ص ٤٦).

المبحث الأول : لمحة سريعة عن مفهوم التدبر [١]

التدبر عند أهل اللغة: مأخوذ من النظر في أدبار الشيء وعواقبه ونهاياته[٢].

ففي معجم مقاييس اللغة : " أصل التدبر من: دَبَرَ –بفتح الدال والباء–، وجُلُّه في قياس واحد، وهو : آخر الشيء، وخلفه؛ خلاف قُبُله"[٣]. .

وفي لسان العرب : " دبّر الأمر وتدبّره أي نظر في عاقبته وعرف الأمر تدبرا أي بآخره. **فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره ثم إعادة النظر مرة بعد مرة..** والتدبر في الأمر: التفكر فيه" [٤].

وفي التعريفات للجرجاني : " التدبر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب " [٥].

وفي المعجم الوسيط : " تدبر الأمر : ساسه ونظر في عاقبته " [٦].

أما التدبر في اصطلاح المفسرين ، فقد تعددت أقوالهم ، وإن كانت تدور في فلك واحد:

١- قال الخازن : "أصل التدبر : النظر في عواقب الأمور ،و التفكر في أدبارها ،ثم استعمل في

---

(١) هذه التعاريف مستفادة من كتاب مفهوم التدبر تحرير وتأصيل (أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم) (ص ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠).

(٢) انظر لسان العرب ، لابن منظور ٢٧٣/٤ ، التعريفات للجرجاني ص ١٤٥ المعجم الوسيط ٢٦٩/١. مختار الصحاح ص٩٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ٢٦٦/٢.

(٤) لسان العرب ٢٦٨/٤.

(٥) التعريفات للجرجاني ص ١٦٧ .

(٦) المعجم الوسيط ص ٢٦٩/١.

كل تفكر و تأمل ،و يقال : "تدبرتُ الشيءَ" أي : نظرت في عاقبته ،و معنى تدبُّر القرآنِ تأَمُّلُ معانيه ،و التفكر في حِكَمِهِ ، و تبصُّرُ ما فيه من الآيات" (١).

٢- قال ابن القيم :" وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين" (٢).

وقال أيضاً : " إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألق سمعك ، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه ، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ) (٣).

٣ - قال السيوطي : " وتسن القراءة بالتدبر والتفهم ...وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذّ أو تنزيه نزّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب." (٤).

٤- قال الشوكاني: " إنَّ التدبر هو التأمُّل ؛ لفهم المعنى ،يقال : "تدبرتُ الشيءَ" : تفكرتُ في عاقبته ،و تأملته، ثم استعمل في كل تأمُّل، و التدبير: أَنْ يدبر الإنسانُ أمْرَه ،كأنه ينظر إلى ما تصير إليه عاقبته" (٥).

٥- قال السعدي: " يأمر –تعالى- بتدبر كتابه، وهو التأمُّل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك" (٦).

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل ، للخازن ٤٠٢/١ .
(٢) مفتاح دار السعادة ، لابن القيم ١٨٣/١.
(٣) الفوائد ، لابن القيم ص٣.
(٤) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ١/ ١٢٧.
(٥)فتح القدير ، للشوكاني ٤٩١/١.
(٦) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ١/ ١٨٩.

وهكذا نرى أن التدبر يدور حول التأمل وإعمال النظر في المعنى وتطلب فهمه وإعمال النظر فيه لأجل الانتفاع به والاستفادة منه ، وسيتبين في المباحث التالية ارتباط هذا المعنى بـ (تجدد المعاني).

المبحث الثاني : تجدد المعاني وعلاقته بتدبر القرآن الكريم

نزل القرآن بلسان عربي كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ ﴾ [يوسف: ٢]: ، ونزوله بهذا اللسان بحاجة إلى تعقُّل وتفهُّم وإعمال ذهن ، وذلك أنه نزل بأوسع اللغات تأدية للمعاني واجتمع فيه من هذه المعاني أقصى ما يمكن أن تتحمله الألفاظ والتراكيب .

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض؛ وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه" [(١)] وقال ابن عاشور في بيان سبب وفرة معاني القرآن : "منها، أن تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفا، وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرفا في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظا، وجعله جامعا لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قوام أساليبه جاريا على أسلوب الإيجاز فلذلك كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب" [(٢)].

فنزول القرآن بلسان العرب من شأنه أن تتسم ألفاظه بالمرونة والغَنَاء اللذين يساعدان على تجدد المعنى بحيث ترى للكلمة الواحدة ، عدة معان لا تنكرها اللغة بحسب الوضع ، ولا يرفضها الدين من حيث العمل والاعتقاد ، وتطلب هذه المعاني بحاجة إلى تفكر وتدبر وإعمال ذهن .

ويقول الشيخ الزرقاني رحمه الله مبيّنا عظمة القرآن في تجدد معانيه: (نلاحظ في كثير من ألفاظ القرآن أنها اختيرت اختيارا يتجلى فيه وجه الإعجاز من هذا الاختيار ، وذلك في الألفاظ التي نمر بها على القرون والأجيال منذ نزل القرآن إلى اليوم ، فإذا بعض الأجيال يفهم منها ما يناسب

(١) المصدر السابق (٤/٣٦٥).
(٢) التحرير والتنوير (١/ ٩٨) .

تفكيره ويلائم ذوقه ويوائم معارفه ، وإذا أجيال أخرى تفهم من هذه الألفاظ عينها غير ما فهمته تلك الأجيال ، ولو استبدلت هذه الألفاظ بغيرها لم يصلح القرآن لخطاب الناس كافة ، وكان ذلك قدحا في أنه كتاب الدين العام الخالد ودستور البشرية في كل عصر ومصر ، فسبحان من أنزل هذا القرآن مشبعا لحاجات الجميع ، وافيا تجارب الجميع ، ملائما لأذواق الجميع ، متفقا ومعارف الجميع ، مما يدل دلالة واضحة على أنه كلام الله وحده أنزله بعلمه [1] .

وإن كتاباً يحتمل لفظه وسياقه وتراكيبه من المعاني ما لا يحتمله أي كتاب آخر ، وتتعدد معانيه بحسب ما يلابس اللفظ من تغيّر في القراءة أو الوقف ، أو تتعدد المعاني في اللفظ أو السياق ، فإن تجدد المعاني فيه نتيجة حتمية وخاصية من خصائصه .

لكن التفطن لهذه المعاني والوقوف على ذلكم الثراء لا يدركه إلا المتدبّرون المتفكّرون ، والعاكفون على فهم كلام رب العالمين ، حتى يُخرجوا للأمة ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ويقودوا الأمة بهذا الكتاب إلى عزِّ الإسلام وفلاح المسلمين ، ولا يكون هذا بعد توفيق الله تعالى إلا بالتدبر ، وهذا ما حدا بابن عاشور أن يقرر ذلك فيقول: " **وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب** على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي ، وقد تتكاثر عليك فلا تملك من كثرتها في حصر ، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحا بذلك ، وقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتابا مخاطبا به كل الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية" [2].

فتجدد المعاني حينئذ نتيجة من نتائج تدبر القرآن في التفكر وإعمال فكر في تفهم المعاني للانتفاع به سواء كان النفع ذاتياً للمتدبر أو متعديا للأمة. .

(١) مناهل العرفان (٢/٣٠٨)

(٢) والتحرير والتنوير (١/ ٩٨) .

المبحث الثالث: المراد بتجدد المعاني وعلاقته بارتقاء الأمة .

وتجدد معاني القرآن لا يمكن أن يفهم بعيدا عن منهج النبوة ، حتى يتّسق هذا المصطلح ألا وهو (التجديد) أو (تجدد المعاني) مع مقاصد القرآن التي تحيي الأمم والشعوب وتهديها للتي هي أقوم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] .

ولذلك فإن تجدد معاني القرآن المراد مناقشته وعرضه في هذه الورقة يقصد به :

- ما يحتمله الأسلوب من معانٍ جديدة تفهم من النص القرآني ، ضمن الأصول المعتبرة والضوابط المستنبطة من فهم السلف الصالح وتعاملهم مع القرآن في الفهم والعلم والعمل وقد صرح العلامة الأمين الشنقيطي بأن تجدد المعاني في الآيات القرآنية يقصد به هذا المعنى حيث قال: " وإن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام ، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل، ويدل لذلك حديث أبي جحيفة الثابت في الصحيح أنه لما سأل عليا – رضي الله عنه – هل خصهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بشيء؟ قال له علي – رضي الله عنه –: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهما يعطيه الله رجلا في كتاب الله، وما في هذه الصحيفة. الحديث. فقوله – رضي الله عنه –: إلا فهما يعطيه الله رجلا في كتاب الله، يدل على أن فهم كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس" [(١)].

- كما يقصد منه كذلك تطبيقه في واقع الناس وإحياء ما اندرس من العمل به.
- ويقصد به كذلك : الجهاد به في إماتة البدع وإحياء السنن ، والدليل على هذه المعاني ما رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء ، قال: فقال زياد بن لبيد الأنصاري: يا رسول الله : وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ، فوالله لَنقرَأَنَّه ولنُقرِئَنّه نساءنا وأبناءنا ، فقال: ثكلتك أمك يا زياد ، إني كنت لأعدُّك من

(١) أضواء البيان (٢/٢٥٩)

فقهاء أهل المدينة ، هذا التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟) [1] ، فتأمل كيف أن قراءة القرآن وحفظه لا تغني دون تفهّم معانيه وتطبيقها في الحياة .

وهذه المعاني المذكورة، من معاني تجديد الدين الوارد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[2] وتجديده يكون بإحياء وتطبيق ما في الكتاب والسنة في واقع الناس وحياتهم[3].

ويقول المناوي : " يجدد لها دينها: أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم " [4].

ويقول السيوطي: " المراد بتجديد الدين ، تجديد هدايته وبيان حقيقته وأحقيته ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه أو الفتور في إقامته ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته " .

ويبيّن ابن القيم بُعد الناس عن هذا المعنى وأنه أحد الأسباب في عدم فهم القرآن فيقول: " ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، وتضمنه له ، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا ، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن" [5].

ولا شك أن تلك المعاني واضحة الأثر في الارتقاء بالأمم إذا تمت على منهج صحيح وفهم سليم ، وهذا التجدد الذي يسهم في رقي الأمم من بركات هذا القرآن التي لا تظهر إلا بتدبره .

ولك أن تتأمل وصف القرآن بالبركة وارتباطه بالتدبر في قوله : ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩] ، وكأن بتدبر هذا الكتاب يظهر خيره ونفعه وبركته للأفراد والأمم ، وقد أشار الشعراوي إلى هذا المعنى فقال: " فكل يوم يعطي القرآن عطاءه الجديد ولا تنقضي عجائبه، ويقرأه واحد فيفهم منه معنى، ويقرأه آخر فيفهم منه معنى جديداً.

(١) أخرجه الترمذي في السنن ، باب ما جاء في ذهاب العلم برقم (٢٦٥٣) وقال حسن غريب وصححه الألباني ، وأخرجه الحاكم في المستدرك(١/ ١٧٩) ، وقال إسناده صحيح وتابعه الذهبي .

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه ، كتاب الملاحم باب ما يذكر من قرن المائة برقم (٤٢٩١) صححه الألباني

(٣) انظر: عون المعبود ، للعظيم آبادي (١١/٢٦٠).

(٤) فيض القدير ، (٢/ ٢٨١)

(٥) مدارج السالكين (١/ ٣٥١) .

وهذا دليل على أن قائله حكيم، وضع في الشيء القليل الفائدة الكثيرة، وهذا هو معنى ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ ؛ فكل كتاب له زمن محدود وعصر محدود وأمة محدودة، أما القرآن فهو يواجه من يوم أن أنزله الله إلى أن تقوم الساعة قضايا متجددة يضع لها حلولاً ، ويواجه كل المسائل التي تطمح لها البشرية في حضاراتها وارتقاءاتها في العقول مواجهة تجعل له السبق دائماً ولا يكون ذلك إلا إذا كانت فيه البركة" [1].

هكذا تتكاثر المعاني وينْبَنى بعضها على بعض، وهكذا نستطيع استثمار المعاني السابقة واللاحقة في بيان عظمة هذا الكتاب والعمل به ونستغني به كما استغنى به أسلافنا فسادوا وأدّوا ما عليهم ، فها هو بين أيدينا ونحن من يحتاج إلى استثارة معانيه واستفتاح كنوزه ولآلئه حتى نكون أعظم أمة ، أما حين يضيق فهمنا عن تدبر كلام الله واستخراج عظيم معانيه فهذا القعود عن تحصيل الثراء هو النكوص والهجرُ للقرآن كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : " سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب، فيتهافت، يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا، قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا، قالوا: سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئا " [2] ، فكيف يبلى وهم يقرؤونه إلا إن كانت قراءة عابرة دون استخراج كنوز المعاني ومهمات المعارف من هذا الكتاب العزيز !

المبحث الرابع : تجدد المعاني منهج نبوي سار عليه السلف والأئمة.

ولقد أدرك السلف رضوان الله عليهم وهم يشاهدون التنزيل أن الأسلوب الذي نزل به القرآن أسلوب تتجدد معانيه ، إيماناً منهم بهيمنة هذا الكتاب الذي أصلح أحوالهم ومجتمعهم ويقيناً منهم بأنه هو الذي سيصلح سائر الأزمان والأحوال ، فبيّنوا للأمة ذلك تقريراً وتطبيقاً وحثوا من بعدهم على مداومة النظر لاستخراج المعاني ، فهذا ابن مسعودٍ رضي الله عنه يقول : (من أراد

(١) تفسير الشعراوي (٧/ ٤٠٠٨) .

(٢) أخرجه الدارمي في السنن ، باب في تعاهد القرآن (٤/ ٢١٠٧) قال المحقق: حسين سليم اسد : إسناده صحيح إلى معاذ وهو موقوف عليه.

علم الأولين والآخرين فليثوّر القرآن) ، ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه : (لا يفقه كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة) [1] .

ولقد فقه الصحابة رضوان الله عليهم كلّ الفقه حين اعتبروا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، مع كون الآيات كانت تنزل على أسباب يشاهدونها ويعايشونها ، فكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه: (أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له فأنزلت عليه : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[هود: ١١٤] قال الرجل: ألي هذه ؟ قال: لمن عمل بها من أمتي) [2].

وإعمال هذه القاعدة باب من أبواب تجدد المعاني فتحت للمفسرين آفاقاً واسعة في فهم معاني القرآن الكريم [3] .

وتجدد المعاني بدأ مع نزول الوحي ، وكان صلى الله عليه وسلم يستشهد بآيات من القرآن على معانٍ غير تلك المعاني المباشرة التي تفهم من ظاهر الآية ، فقوله تعالى : ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الروم: ١٩] جاءت في سياق الاستدلال بقدرة الله عز وجل على البعث بعد الموت وأنه جل وعلا يخرج الإنسان الحي من الماء الميت ويخرج الماء الميت من الإنسان الحي لأن تذييل الآية بقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾: راجع إلى ما يصلح له من المذكور قبله وهو ما فيه إنشاء حياة شيء بعد موته، ومع ذلك فقد استشهد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية في معنى آخر غير المعنى المباشر الذي سيقت فيه الآية ، فقد أخرج الطبري بسنده عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض نسائه، فإذا بامرأة حسنة النعمة، فقال: (من هذه؟) قالت: إحدى خالاتك، قال: (إن خالاتي بهذه البلدة لغرائب وأي خالاتي هذه؟) قالت: خلدة ابنة الأسود

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ برقم (٤٦٨٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة باب قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ برقم (٢٧٦٣).

(٣) وقد استقرأ الباحث الشيخ عبد العزيز الضامر جملة من كتب المفسرين قديماً وحديثاً في أطروحته للماجستير: "تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين "وخرج بهذه النتيجة.

بن عبد يغوث ، قال: (**سبحان الذي يخرج الحي من الميت**) وكانت امرأة صالحة، وكان أبوها كافرا)[1].

كما استشهد عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[الأنفال: ٢٤] حين دعى أبا سعيد بن المعلى رضي الله عنه وكان يصلي فلم يجبه ، فقال له : ألم يقل الله ﴿ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ فالآية يفهم من طاعة ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في أمور الشرع من أحكام وأعمال ، ولكن حين استشهد بها الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع بينت معنى جديداً وهو الاستجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم بطلب القدوم المباشر ، ولو كان هذا المعنى يفهم من هذه الآية قبل تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الواقعة لما تردد أبو سعيد رضي الله عنه في إجابته ، وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وتبيين بعض المعاني الجديدة التي لم تكن لتفهم من ظاهر النص مباشرة ما يدعو إلى إعمال النظر في ألفاظ القرآن وأسلوبه لكشف ما يستجد من المعاني والدلالات.

- وهكذا فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا المعنى في التعامل مع ألفاظ القرآن وأسلوبه فما فتئوا يفهمون من القرآن معاني تفيدهم في شئون حياتهم ليست الدينية فحسب بل الإدارية والسياسية والاجتماعية.

فلم يمنع الصحابة رضوان الله عليهم أن يأخذوا من قوله تعالى : ﴿لَمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ ﴾[التوبة: ١٠٨] معنى جديداً ، حيث استفادوا من جملة واحدة وهي قوله: ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ ﴾ التأريخ بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم كبداية لتاريخ الإسلام ، كما قال السُّهيلي : " وفي قوله سبحانه: ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ ﴾ **وقد علم أنه ليس أول الأيام كلها**، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمر ، **فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ** فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لأنه الوقت الذي عز فيه الإسلام والذي أمر فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأسس

(١) جامع البيان (٥/ ٣١١) وقال الهيثمي : رواه كله الطبراني بإسنادين، وإسناد الثاني حسن (مجمع الزوائد ٩/٢٦٤).

المساجد ، وعبَدَ الله آمنا كما يحب ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله سبحانه : ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يؤرخ به الآن ، **فإن كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية فهو الظن بأفهامهم فهم أعلم الناس بكتاب الله وتأويله وأفهمهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح،** وإن كان ذلك منهم عن رأي واجتهاد فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل إذ لا يعقل قول القائل فعلته أول يوم إلا بإضافة إلى عام معلوم أو شهر معلوم أو تاريخ معلوم وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم القرائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبر لمن ادكر وعلم لمن رأى بعين فؤاده واستبصر " [1].

فتأمل كيف استطاع الصحابة أن يستفيدوا من هذه الآية في تنظيم شؤون حياتهم ، مع كونها نزلت في سياق ومعنى معيّن.

مثال آخر :

ومن فهم الصحابة لما يستجد من المعاني في الأحوال الاجتماعية ما فهمه ابن عباس وعلي رضي الله عنهما من أن أقل الحمل ستة أشهر أخذاً بقوله : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[البقرة: ٢٣٣] وقوله : ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[الأحقاف: ١٥] وقد كان هذا الفهم الجديد الذي فهمه الصحابة ، حجة قوية لعصمة الدماء وبراءة الرحم ، كما قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ " وقد استدل علي رضي الله عنه بهذه الآية مع التي في لقمان: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[لقمان: ١٤] ، وقوله: ﴿۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ ، على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، **وهو استنباط قوي صحيح. ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة، رضي الله عنهم**" [2].

هكذا كان تجدد المعاني في عصر الصحابة رضوان الله عليهم وفق ما يقتضيه نظم القرآن وأسلوبه ودون أن يتعارض معنى مع معنى وإن اختلفت العصور والاجتهادات.

---

(١) الروض الأنف ، (٤/ ١٥٦) .

(٢) المصدر السابق (٧/٢٨٠).

- ومن أمثلة تجدد المعاني فيما تلا عصر الصحابة ، استشهاد أئمة الدين بوجوه من المعاني استخرجوها من آيات القرآن الكريم ، فلما انتشرت البدع المحدثة التي لم تكن في الصدر الأول ، انبرى لها العلماء بالرد والتفنيد من خلال فهمهم لكتاب الله ، ومن ذلك ما استنبطه الإمام مالك رحمه الله من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ١٠] وهذه الآية في بيان من يستحق فقراؤهم الفيء ممن جاء بعد المهاجرين والأنصار وذكر وصفهم ، ففهم من الإمام مالك رحمه الله فهماً دقيقاً ، جعلت الحافظ ابن كثير يعجب به استحسانا فقال: " **وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم:** ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ " [1].

(١) المصدر السابق (٨/٧٣).

المبحث الخامس : أهمية إعمال تجدد المعاني في تدبر القرآن .

يمكن إبراز أهمية هذه الطريقة وفوائد الاهتمام بها في ثلاث نقاط :

١- بيان عالمية المنهج القرآني وواقعيته .

بيّن الله تعالى عالمية كتابه بقوله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان: ١] قال ابن كثير : "إنما خصه به – أي بالقرآن – ليخصه بالرسالة إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء، كما قال –صلوات الله وسلامه عليه –"بعثت إلى الأحمر والأسود" (١) فأصبحت رسالة القرآن عالمية ، ومنذ نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم في أول آية منه نزل عالمياً، وأصبح بلوغ القرآن لجموع الخلق أو آحادهم حجةً عليهم وداعياً لهم ومبشراً ونذيراً ، وقد سئل الليث بن سعد : هل بقي أحد لم تبلغه الدعوة؟ قال: كان مجاهد يقول: " حيثما يأتي القرآن فهو داع وهو نذير، ثم قرأ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩] (٢) .

وهذه العالمية لا يكون لها هذا التأثير الممتد امتداد الزمان إلا لما يتضمن من المعاني الواقعية ، التي تصوّر الحياة في أعدل أحوالها ، وتعالج النفس البشرية على اختلاف طبائعها وأصنافها بعيداً عن نظريات يتشدق الناس بها ولا يحققونها ، ويتصورونها ولا يتعاملون بها. فلا يشعر معها المتلقي بمثاليات أو تصورات ذهنية لا حقيقة لها على الواقع ولا إدراك لها في الحقيقة ، ولا تزال تتكشف له من المعاني ما تطمئن إليه النفس .

٢- نقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم وبناء المعاني الجديدة على ضوئها.

فإحياء منهج السلف ومن تبعهم بإحسان في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه والعناية بتوثيق المنقول عنهم في هذا الباب ، من أهم مجالات تطبيق العلوم الإسلامية (٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٢) .

(٢) جامع البيان (٩/ ١٨٣) .

(٣) التجديد في العلوم الإسلامية ودوره في حل مشكلات الواقع المعاصر ، بن صغير محفوظ (ص٣١٨) ،.

ولابد في تجدد المعاني أن نقرأ ما كتبه سلفُنا قراءة واعية لنصل الحاضر بالماضي وننتقل إلى مجالات رحبة وواسعة ونحن نقف على أساس راسخ وقاعدة صلبه.

وهذه مسألة مهمة كثر التشغيب عليها في الآونة الأخيرة ووصف هذا التراث العظيم في فهم النصوص بأنه عتاد قديم ، فأي تجديد ننتظره بعد ذلك من جيل يزدري معارفه ورجاله ؟

إن الشرط الأساسي في أن يؤتي هذا التجديد ثمرته في مستقبل الأمة تقدما وحضارة وازدهارا هو التمثل الناضج المستنير للتجارب الفكرية الرائعة وكفاح العقول الفذة في تاريخ الأمة ، واستلهام نفحات الإبداع في تراث القمم ، ثم يمضي الأفذاذ الموهوبون من أبناء الأجيال السابقة ، يستلون من تحت الغيم خيوطا كـسَنَا الفجر يضيئون بها دروب المجهول التي تتعشق عقولهم القدح على أبوابه [1].

هذه نقطة مهمة ، بل هي قاعدة عظيمة يجب استصحابها دائما في النظر إلى المعاني وتجددها حتى تفضي بنا إلى أفكار جديدة نبسط بها ميادين المعرفة بسطاً في فهم كلام الله تعالى .

٣- أن الأخذ الصحيح لمفهوم تجدد المعاني ، يفوّت الفرصة لمن يريد أن يدخل من هذا الباب لتحريف كلام الله أو تأويله.

فإن تدبر كلام الله والعيش معه والنظر في المعاني المتجددة التي تجود بها الآيات القرآنية فيما يصلح حياة الناس ضمن القواعد والضوابط الشرعية التي يفهم بها كلام الله عز وجل ، يقطع الطريق أمام كل من يريد أن يحمّل النصوص ما لا تحتمل بحجة التجديد ، وهم بذلك يستخدمون مصطلحاً شرعياً لترويج منهج فاسد ، ولذلك ظهرت باسم (تجديد الخطاب الديني) مناهج محدثة وأفكار حداثية تدعو إلى إعادة قراءة النص ، أو القراءة المعاصرة للنصوص دون مرجعية علمية ، بل ولا نزعة إيمانية دينية.

فإحياء هذا المعنى بين الناس بنقائه وصفائه ، على منهج أصيل يقف بإذن الله أمام من يريد تمييع الدين ثوابته تحت هذا المسمى .

(١) انظر: دلالات التراكيب ، د، محمد محمد أبو موسى ، ص ٤.

المبحث السادس: طرق التدبر المعينة على تجدد المعاني .

١. الاستفادة من المعاني والأحداث الواردة في قصص القرآن وأمثاله :

إن القرآن الكريم نزل بقصص وأخبار وأمثال كثيرة فصّلت وفرّقت في شتى السور وكثيراً ما يأتي التعقيب بعد هذه القصص والأمثال في القرآن بتجديد التأمل وإعادة والنظر وإعمال الفكر ، ولا شك أن كثرة التأمل والنظر في هذه القصص تنتج عنها معانٍ جديدة تناسب كل عصر ومصر و وتكون مجالاً خصباً ليكون هذا القرآن واقعاً معاشاً في حياة الناس.

والآيات الدالة على أن هذه الأخبار والقصص قصد منها هذا تجدد النظر والتأمل كثيرة ومنها قوله تعالى : ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٧٦] قال ابن عاشور : " اقصص هذه القصة وغيرها ، وهذا تذييل للقصة الممثل بها يشملها وغيرها من القصص التي في القرآن ، فإن في القصص تفكراً وموعظة فيرجى منه تفكرهم وموعظتهم **لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنا عظيما في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة، لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر مشاهدة الحالة بالحواس، بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس**"[1]

وقال تعالى: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾[يوسف: ٣] فمجيء هذه القصص في القرآن أكسبها حسناً غدت به أحسن القصص ، ألا ترى كيف طوى القرآن كثيراً من الأنساب والأماكن والمواقع المقصوص عنهم ، وطوى كثيراً من الأحداث التي تكون لقصد التفكّه فتنزه عن ذكرها ، وكان ما ذكره الله من هذه القصص مشتملا على الحِكم ومواضع العبر فأصبحت قصصه برهاناً وتبياناً في الاتعاظ والاعتبار ، وهذا يقتضي تجدد معانيه والاستغناء به عما عداه ، وقد أحسن ابن كثير حين ساق في تفسيره لهذه الآية أحاديث الاستغناء بالقرآن إشارة منه إلى أن هذه القصص كافية في الاهتداء لما يستنبط منها من المعاني التي تناسب الناس.

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٧٩)

وإن في تنوع ذكر قصص وأخبار الأمم في القرآن فائدة عظيمة وهي : أن ينشىء في المسلمين همة السعي إلى سيادة العالم كما ساده أمم من قبلهم ليخرجوا من الخمول الذي كانوا عليه [1] ، وهذا لا يكون إلا بتجديد معاني القرآن في الحياة ليسلكوا طريق النصر والتمكين ، وقد كان هذا المعنى ماثلاً لدى الصحابة رضوان الله عليهم حين استحضروا حادثة بني إسرائيل مع موسى عند دخول الأرض المقدسة ، حين استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو بدر فما كان من المقداد بن عمرو رضي الله عنه إلا أن قال : امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . [2] حتى أشرق وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له ، ولاشك أن في ذلك إقرار من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاستشهاد .

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها ، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين ، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصلة وأجمل قصص الأنبياء ثم قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف: ١١١] أي هذه القصص المذكورة في الكتاب ليست بمَنزِلة ما يُفترَى من القصص المكذوبة كنحو ما يذكر في الحروب من السير المكذوبة" [3] ، ولقد طبّق ذلك في زمنه ، فاستحضر من المعاني التي ذكرها الله في خبره عن غزوة الأحزاب ما يطابق واقعهم حين نزل التتار بهم وقال: " فإذا قرأ الإنسان سورة الأحزاب وعرف من المنقولات في الحديث والتفسير والفقه والمغازي كيف كانت صفة الواقعة التي نزل بها القرآن ، ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك وجد مصداق ما ذكرنا "

---

(١) التحرير والتنوير (١/ ٦٧)

(٢) سيرة ابن هشام (١/٦١٥) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٢٥) .

ولقد فسّر رحمه الله آيات غزوة الأحزاب على أحوال الناس وأقوالهم في عصره ثم قال: "والتجربة تدل على مثل ما دل عليه القرآن وهكذا سنة الله قديما وحديثا " [1].

٢. الاستفادة من عموميات ألفاظ القرآن في دخول كثير من واقع حياة الناس تحته.

اتسم الأسلوب القرآني بالعموم الذي يتناول العموم في الأفراد والأزمان والأقطار كما أن في جمله وألفاظه قيودا صالحة لأن تكون متعلقة بأكثر من جهة ، فينتج عن ذلك تعدد المعاني.

وهذه الطريقة أشار لها ابن تيمية بقوله : " فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي أو بالعموم المعنوي ، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله **تنال آخر هذه الأمة كما نالت أولها**" [2].

وقال ابن عاشور: " ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما ، **وبذلك تكثر معاني الكلام** " [3]

ومن عجيب فهم الصحابة لإعمال العموم في استنتاج معانٍ جديدة، ما فهمه ابن عباس رضي الله عنه من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣] ، فقد فهم من هذه الآية معنى في الولايات والسياسات ، وأن معاوية رضي الله عنه ستؤول إليه الخلافة وقد كان ، ولم يمنعه ورود البيان النبوي أن يفهم من عموم اللفظ هذا المعنى ، وقد بيّن ابن كثير كيف فهم ابن عباس رضي الله عنه هذا المعنى وأنه لا يخالف المعنى المتبادر الظاهر فقال: " ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾أي: سلطة على القاتل ، فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قوداً ، وإن شاء عفا عنه على الدية ، وإن شاء عفا عنه مجانا ، كما ثبتت السنة بذلك، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان ، وقد قتل عثمان مظلوما

(١) ذكر تفاصيل ذلك من (٤٤٤/٢٨) وحتى (٢٨/ ٤٦٧) .
(٢) مجموع الفتاوى (٤٢٥/٢٨) .
(٣) التحرير والتنوير (١/ ١٢٣) .

رضي الله عنه ، وكان معاوية يطالب عليا رضي الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه أموي ، وكان علي رضي الله عنه يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ، ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة ، وأبى أن يبايع عليا هو وأهل الشام ، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة ، **وهذا من الأمر العجب**" (١) .

ومما يدخل في هذه الطريقة : ما يكون في القرآن من تعليق تحقق أمرٍ ما أو انتفائه بتحقق أوصاف أو أسباب أو مسببات ، فكل من حقق هذا الوصف في أي زمن من الأزمان فهو داخل في عموم هذه الأوصاف ، وقل مثل ذلك في تحقق الأسباب أو انتفائها ، ولك أن تتأمل في أوصاف المنافقين الذين نزل القرآن فاضحاً لأفعالهم ، كيف تتجدد معاني هذه الآيات وتنطبق على أي مجتمع يظهر فيه النفاق في القديم والحديث.

ومما يدخل في هذا العموم كذلك : السنن الإلهية التي ذكرها الله في كتابه ، وما كونها سنة وعادة إلا لأن لفظها يتناول عموم الزمان والأوقات ، فعندما يكثر المدّعون للخير والإصلاح في الأوطان والمجتمعات ويختلط الحق بالباطل ، يجري الله من الأحداث والوقائع التي تتميّز فيها الصفوف ما يصلح أن يكون تفسيراً لقوله : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] .

٣. استحضار ومراعاة تنوع أفهام المجتمعات وتعاقب العصور في الخطاب القرآني : إن القرآن نزل بأسلوب خاطب فيه العصور بما يفهمون مع احتوائه على فكر القرون المتطاولة حتى آخر الزمان ، وهذا من آثار الإيمان باسم الله "المحيط "

يقول الزرقاني : " ولأن الله عز سلطانه هو القادر وحده على تضمين كلامه كل المناسبات التي اقتضتها تلك الأحوال الكثيرة التي لم يحط ولن يحيط بها سواه ، ومن الذي يستطيع أن يحيط بكل أحوال الخلق ، وفيها الخفي الذي لا يعلمه إلا من يعلم السر وأخفى ، ثم من ذا الذي يستطيع أن يحيط بكل أحوال الخلق وهم أجيال متعددة منهم من لم يخلقوا وقت نزول القرآن ومنهم من لم يعرفوا لنا إلى الآن بعد بضعة عشر قرنا من نزول هذا القرآن ، **وأنت خبير بأن**

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٧٣).

القرآن هو كتاب الساعة الذي يخاطب الأجيال كافة حتى يرث الله الأرض ومن عليها فلا غرو أن يضمنه منزلُه كلَّ ما تحتاج إليه الأمم على اختلاف أجيالها من المناسبات الملائمة لأحوالهم وليس ذلك في قدرة أحد إلا العليم بأسرار الخلق وخفيات السموات والأرض ، ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[الفرقان: ٦]﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [طه: ٤ – ٦]" [(١)].

فمنذ نزول القرآن والمخاطبون بالقرآن ينتقلون من حال إلى حال ، وسخّر الله لهم من الآيات والدلائل والعلوم ما يكون معيناً لهم على فهم القرآن واستخراج كنوزه ومعانيه ، مما لا ينافي المعنى الظاهر من الآية مما قرره سلف هذه الأمة، بل قد يكون بينه وبين المعنى الأصلي وجه مناسبة إما على سبيل التفصيل والتقسيم مما يناسب أهل كل زمان ، وإما على سبيل إدراك كيفيات بعض الحقائق ، وإما على سبيل الاستدلال بالمعنى القرآني على ما يظهر من مسائل العلم الحديث [(٢)].

فالتوسع في بيان معاني بعض الآيات بما يمكن بيانه من علوم الهيئة والفلك ونحوها قد يزيد في بيان المعنى واتضاحه ، وهذا فيه مزيد اتعاظ واعتبار بالاطلاع على تفاصيل أخرى إضافة إلى الأمور المشاهدة وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾[الرحمن: ١٩] وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾[ق: ٦] وقد ألف الآلوسي في هذا كتابه: [ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان] ، فتناول القرآن لما يناسب تنوّع أفهام الناس في مختلف العصور من أسباب هذا التجدد والثراء ، شريطة أن يكون هذا المعنى ضمن ما تسمح به تراكيب الكلام ويحتمله المعنى ، ولا يمنع من ذلك مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو توقيفية.

---

(١) مناهل العرفان (٢/٣٠٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١/ ٤٣)

٤. الجمع بين النصوص في استنتاج معانٍ جديدة :

إن القرآن الكريم بما اختص به من دقة وجودة في التناسب والسبك مع تفاوت أحوال وأوقات النزول، يسمح بجمع نصين أو أكثر من نصوصه التي ينتج عنها معنى جديد وذلك أعظم برهان في تصديق القرآن بعضه لبعض، ولذا فإنه إن صحت طريقة استخراج المعاني فلاشك حينئذ أن المعنى المستنبط صحيح ومُراد، والله تعالى يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢] فهذه الآية دعوة لفتح باب التدبر على مصراعيه بجميع طرقه ، وكل معنى صحيح مستنبط من القرآن سواء من دلالة آية مفردة أو من جمع نصيْن فأكثر فستجده في تمام التناسب ولن تجد فيه أي اختلاف وهذه أحد أسباب تجدد المعاني ، وقد عدّ ابن القيم هذه الطريقة في استخراج المعاني من ألطف طرق فهم النصوص وأدقها [(١)] ، وقال في معرض حديثه عن طرق فهم النصوص وتفاوت الناس في ذلك : " وأخص من هذا وألطف ، ضمّه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرٌ زائدٌ على ذلك اللفظ بمفرده ، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به"[(٢)] وبهذه الطريقة في جمع النصوص فهم ابن عباس رضي الله عنهما أقل مدة الحمل .

٥. الجمع بين معنى قراءتين أو أكثر في استنتاج معانٍ جديدة :

فكما أن الجمع بين نصين أو أكثر طريقة من طرق تدبر القرآن ، فكذلك ما يكون في تنوع **المعنى الناتج عن اختلاف القراءة ، بجمع حاصل المعنى من القراءتين أو القراءات المختلفة في اللفظ ، وهذا لون جميل ومظهر بديع من مظاهر تجدد المعاني ، الأمر الذي يتطلب معه الكشف عن الروابط والتناسب بين هذه الألفاظ.**

كما أن هذه الطريقة تعد مسلكاً من مسالك التناسب قل التطرق إليه في باب المناسبات ، فإذا كان التناسب بين آيتين أو بين أوّل السورة وخاتمتهما من بديع أسلوب القرآن ، فما ظنّك بالتناسب في اللفظ الواحد الذي اختلف فيه نوع من أنواع التغاير ، لا شك أنه آكد وأقوى.

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٦٦/١) .

(٢) المصدر السابق (٢٦٧/١).

وذلك أن المتدبر يجتهد في الربط بين القراءتين ومعرفة وجه المناسبة بينهما ، كما يجتهد في بيان وجه مناسبة كل قراءة مع سياق الآية .

خذ مثالاً على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[الأنعام: ٥٧] فقد ورد فيها قراءتان: "يقصّ الحق" لنافع وأبي جعفر وابن كثير وعاصم ، و " يقضِ الحق " لباقي القراء [(١)] ، ومعناها: أنه جل وعلا يقضي القضاء الحق ولما كان القضاء هو الفصل في الحكم والقطع به ذيّل الآية بقوله:﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴾، أما القراءة الأخرى "يقص الحق" فهي من قصّ الحديث وتتبّع الأثر ، وهذا القص متناسب مع تذييل الآية بقوله : ﴿وَهُوَخَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴾ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ ﴾ ، وهكذا تنوع المعنيان وتغايرا في دلالتهما على فعل الله جل وعلا دون تعارض بينهما ، فإذا ما تطلبنا المناسبة بين القراءتين وحاصل المعنيين، ظهر لنا معنى آخر وهو أن الله تعالى يبيّن لنا منهجاً ربانيا في قضائه جل وعلا وكيف أنه قص لنا حال الشاكرين والمجرمين وفصّله وهو في غنى عن ذلك جل وعلا فهو أحكم الحاكمين ، ولكن حتى يستبين الطريق وتتضح الحجة ، ثم يكون قضاؤه تبارك وتعالى بتعجيل العذاب أو إمهاله ولا معقِّب لحكمه تبارك وتعالى.

وهكذا القاضي لا يستطيع أن يفصل في القضية حتى يقص الأثر ويتتبعه ، ويستفصل منه فإذا استبان له فصَل في القضية وحكم بما ظهر له ، فهذا التناسب بين القراءتين وجه من أوجه تجدد المعاني وثرائها .

٦. التدبر لما تضمنه أسلوب القرآن من دلالات إضافية، مما يفهم من إشارات الآية وفحوى الخطاب وعادات القرآن.

فكما أن لدلالات الألفاظ أثرٌ في تجدد المعاني فكذلك الدلالات الإضافية باب عظيم في استخراج المعاني يهبه الله من يشاء من عباده كما قال ابن القيم : " دلالة النصوص نوعان حقيقية وإضافية ، فالحقيقية تابعة لقصد المتكلم وإرادته ، وهذه الدلالة لا تختلف ، والإضافية تابعة لفهم السامع وإدراكه وجودة فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها ، وهذه الدلالة تختلف اختلافا متباينا بحسب تباين السامعين في ذلك" [(٢)] .

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

(٢) المصدر السابق (١/٢٦٤)

فما فهمه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من دنو أجل النبي صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] حين بكى فقيل له ما يبكيك؟ فقال: (أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا ، فأما إذ كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص) [(١)] ، ففهمه رضي الله عنه لم يكن في الآية ما يدل عليه دلالة لفظية إلا أنه فهم ذلك من عادة الله تعالى وقدرته في نظام الكون والحياة.

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: «إنه ممن قد علمتم» قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني ، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ ﴾[النصر: ١ – ٢] حتى ختم السورة ، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وقال بعضهم: لا ندري ، أو لم يقل بعضهم شيئا ، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ، قال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تعلم») [(٢)]. فما ذكره الصحابة رضي الله عنهم موافق لما عليه ظاهر الآية، ولكن أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أن يريهم دقة فهم ابن عباس وما وهبه الله من النظر في المعاني ، وقد علق ابن حجر على هذا الحديث بقوله : " وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات ، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم " [(٣)]

فهذه الطريقة من طرق تجدد المعاني هبة من الله تعالى يهبها من يشاء من عباده ، ومن ذلك ما جاء عن أبي جحيفة ، قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ قال: (لا ، إلا كتاب الله ، أو فهماً أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة ، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر) [(٤)]

---

(١) تفسير الطبري (٨/ ٨١) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، برقم : (٤٢٩٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٦) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم برقم (١١١) .

. وتأمُّل هذا المعنى في أقوال المفسرين يعين على فهم مرامي كلامهم ، وحمله على ما يمكن أن يحتمل في فهم مراد الله من ذلك ، وقد طبق ذلك ابن القيم عند تعليقه على قول عكرمة ومجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ ﴾[العاديات: ١-٢] حيث قال عكرمة : " هي الألسنة توري نار العداوة بعظيم ما نتكلم به " وقال مجاهد : " هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة في الحرب " حيث ضعّف القولين من جهة دلالتهما على المعنى الظاهر ثم عقّب وقال: " وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دلّ عليها وأنها هي المراد فغلط ، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس فأمرها قريب ، وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول : تفسير على اللفظ ، وهو الذي ينحوا إليه المتأخرون ، وتفسير على المعنى ، وهو الذي يذكره السلف وتفسير على الإشارة والقياس ، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم ، وهذا لابأس به بأربعة شرائط :

- أن لا يناقض معنى الآية.
- وأن يكون معنى صحيحا في نفسه.
- وأن يكون في اللفظ إشعار به.
- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم ، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة ؛ كان استنباطا حسنا" (١).

وممن دعى إلى إعمال هذه الطريقة في استنباط المعاني ابن سعدي وهو يشير إلى طريقة تدبر القرآن حيث قال: " أن لا يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده ، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه ، **نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ.**

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكر في كتابه.

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص ٧٨).

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني ، وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا ، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير ، بحسب ما وفقه الله له ، وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة ، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببًا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين ، فليس لنا إلا التعلق بكرمه والتوسل بإحسانه ، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات ونسأله من فضله ، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته ، إنه الكريم الوهاب الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها" (١).

هذه بعض الطرق الموصلة إلى تجدد معاني القرآن ، وكتاب الله مليء بما نحتاجه وما يحتاجه العالم أجمع من معان ودلالات وإشارات ، ولذلك دعا الخلق جميعاً إلى تدبره واستخراج معانيه ، فدعا الخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم لتدبر كتابه فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾[ص: ٢٩] وفي قراءة : { لتَدَبّروا آياته } ، ودعا أولوا العلم وأهل الفهم والنظر بقوله : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[النساء: ٨٣] .

وما دام كتاب الله يتلى ، فهو الحجة البالغة التي يجب أن ننهل منها المعاني والمعارف والعلوم التي تصلح الفرد والمجتمع في الدارين ، فالله تعالى يقول: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥١] .

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٧٣٢).

المبحث السابع: الخاتمة (مقترحات وتوصيات)

وبعد هذه الجولة في أفق من آفاق تدبر القرآن أختم هذه الورقة ببعض المقترحات والتوصيات للمراكز والهيئات والشخصيات ذات العلاقة للاستفادة من هذا المفهوم وتطبيقه :

أولا: دعوة المهتمين لتصميم حقائب تدريبية للتدريب على المهارات التي تعين على التدبر وتجدد المعاني ، مثل : (تدبر القصص القرآني وتطبيقه على الواقع – دلالات الألفاظ – دلالات السياق – الجمع النظائر في الموضوع الواحد) الخ ذلك من المهارات المعينة ، مع مراعاة الفئة والمرحلة العمرية التي تقدم لها هذه الدورات .

ثانيا: إقامة حلقات التدبر في المساجد وحلق التحفيظ والمدارس والجامعات مع الحرص على وضع آليات وضوابط للمشاركة التفاعلية من المستفيدين أو المتلقين تحول بإذن الله دون الوقوع في القول على الله بغير علم ، وذلك بمراعاة النص المختار للتدبر وطريقة التدبر المناسبة .

ثالثا: إقامة دورات تدبرية (موضوعية) ومتخصصة للدراسين والعاملين في قطاع العلوم التجريبية والدراسات الإنسانية (كالأطباء والفلكيين ، والمهتمين بعلم الاجتماع والتربية وغيرهم) بحيث يقوم المتخصصون أو المراكز المهتمة بالتدبر والدراسات القرآنية بجمع مادة علمية وإقامة دورات علمية لهم ، فيجمعون بين تخصصاتهم التجريبية ، والدلالات القرآنية ، الأمر الذي يفتقده كثير من هؤلاء المتخصصين. وهذا من شانه أن يفتح لهم أفقاً رحباً في تدبر القرآن ، كما قد يصحح بعض المفاهيم الخاطئة لديهم .

رابعاً: الاهتمام بدراسة تراث العلماء وأقوالهم وكثرة طرقها ، بحيث تفتح لنا أفقاً جديداً وتوسع لنا حقولاً كثيرة من الفهم والتدبر ، وإن كثيراً من القواعد والأصول التي ذكرها المفسرون بل والاستنتاجات التي استنتجوها ، إذا تمت دراستها دراسة جادة مستفيضة ستفتح أبواباً من المعرفة تكون عونا بإذن الله على رقي الأمم والمجتمعات .

وما أجمل أن نكمل المسيرة المباركة في تحقيق التراث وضبطه والعناية بإخراجه إلى الاستفادة منه وتفعيله واستثماره الاستثمار الأمثل .

خامساً: الاهتمام بالدراسات القرآنية التي تقوم على رد الشبه والبدع المحدثة التي يتأولها كثير من الليبراليين وأصحاب المدرسة العقلية الحديثة ومن نحا نحوهم في أن يدخلوا في كتاب الله ما ليس منه فهذا ولاشك باب من أبواب تجدد المعاني ، وثغرة من الثغور التي يجب الاهتمام بها.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا تدبر كتابه والتلذذ بتلاوته ومناجاته

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله

قائمة المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .
٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت — لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
٤. التبيان في أقسام القرآن ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥. التجديد في العلوم الإسلامية ودوره في حل مشكلات الواقع المعاصر ، بن صغير محفوظ .
٦. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر — تونس ، ١٩٨٤ هـ .
٧. التعريفات علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
٨. تفسير الشعراوي - الخواطر ، محمد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم .
٩. تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
١٠. تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين ، عبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر ، جائزة دبي الدولية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م.
١١. تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
١٣. دلالات التراكيب ، د، محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ ،١٩٨٧م.
١٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .
١٥. السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م .
١٦. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
١٧. سنن أبي داوود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت .
١٨. صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
١٩. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي — بيروت ،
٢٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق الصديقي العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية — بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ .

٢١. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٢. فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .
٢٣. فضائل القرآن ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ
٢٤. الفوائد ، لابن القيم ، محمد بن أبي بكر ، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .
٢٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ .
٢٦. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي ، مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ .
٢٧. لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالخازن. دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ .
٢٨. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة: الثالثة ، ١٤١٤ هـ
٢٩. مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٣٠. مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٣١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .
٣٢. المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.
٣٣. مسند الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي ، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
٣٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، مكتبة المقدسي ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .
٣٥. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة .
٣٦. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٣٧. مفتاح دار السعادة ، محمد بن أبي بكر ، شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
٣٨. مفهوم التدبر تحرير وتأصيل (أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم) ، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية ، ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩م.
٣٩. مناهل العرفان ، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثالثة .
٤٠. النشر في القراءات العشر ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري ، المطبعة التجارية الكبرى .